من يحاكم من في مصر ؟!

من المؤكد ان « السادات » لم يتوقع رد الفعل الواسع والمستنكر والمدين لاجراءاته الفاشية الاخيرة التي وضعته ونظامه وجها لوجه مع اوسع معارضة في الداخل والخارج !

لقد توقع هو ومهندسو سياسته ان بعض الاصوات الديمقراطية والوطنية في الوطن العربي ستدين وتستنكر وتشجب اجراءاته ضد الكتاب والصحفيين والنقابيين والمناضلين .. وتوقع بالضرورة بيانات واحتجاجات قانونية من الوفد والتجمع في الداخل ، كما توقع ان تزيد التنظيمات السرية من بياناتها التحريضية .. لكنه بالتأكيد ولقصر نظر نظامه لم يتوقع اشتعال حريق الادانة والاستنكار بهذه السرعة والسعة حتى في بلاد وأنظمة هو على يقين من صداقتها له او تحالفها معه او عمالته لها :

● لم يتوقع ان تحتج مجلة خليجية على استفتائه الفاشي !

● وأن تشن عليه الاذاعة البريطانية والصحف الانجليزية حملة سخرية وفضح وهو الذي يحتفظ مع الحكومة البريطانيه باقوى العلاقات كما قال لمراسل التايمز .. لم يدرك بقصر نظره الطبقي ان العلاقة التي تربط الصحافة الغربية بحكوماتها تسمح لها بهذا لهامش الذي يمكنها من السخرية والفضح لامثاله من الديكتاتوريين الصغار .. وانه اذا كانت الصحافة والاذاعة البريطانية قد خرجت عن حيادها الشكلي وطنطنت «لمبادرته» وحلت اغلفة مجلاتها بصوره في اوضاع ترضيه .. فان تلك قصة مختلفة فالصحافة الرأسمالية يمكن ان تتغاضى عن ليبراليتها في سبيل تسوية امريكية في الشرق الاوسط وفي سبيل امن « اسرائيل » لكنها لا تستطيع التغاضي عن هذه الليبرالية من اجل استمرار حكم تهز قوائمه كتابات بعض الصحفيين المعارضين ، فيلجأ الى تقنين مطاردتهم بتهم الخيانة العظمي وافشاء اسرار امن الدولة !

● وفي فرنسا ربما توقع النظام ان يدينه المفكرون والمثقفون العالميون المعروفون بتضامنهم مع حركة التحرر العربية ، لكنه بالتأكيد لم يتوقع ان يكتب مراسل « اللوموند » في القاهرة ساخرا من معاملة السادات للمراسلين الاجانب وكانهم كتبة صحفه المذكورين الذين عبر نقيبهم ورئيس مجلس ادارة اكبر صحفهم « علي حمدي الجمال » بأن كل احتياطات الامن المشددة متخذة لحمايتنا بعد مقتل السباعي ولكنك تعرف انه متى دب القلق في نفسك فان الحياة تصبح شيئا مرعبا ! او كما قال الجمال لاحد المراسلين الامريكيين !

لقد اندفع المراسلون الغربيون في السخرية من السادات واجراءاته دفاعا عن التضامن المهني وردا على المعاملة المبتذلة من جانب السادات لهم ، واستنكارا لموقف صحفهم من قضية لا تعود على صحافة العالم الرأسمالي الا بمزيد من النفور الجماهيري .

لقد علقت « اللوموند » على اجراءات السادات الاخيرة بقولها « ان السادات على ما يبدو يرغب في اقامة ديمقراطية خيالية يكون فيها المعارضون غير سفهاء ولا وثنين ، هذا ما اكده في مؤتمره الصحفي » ! ..

والحقيقة ان النظام الجماعي الذي حاول اقامته كان فاسدا من قاعدته ، لان المعارضة التي سمحت بها الحكومة كانت معارضة صورية . والتصميم الذي يبديه السادات الان في اسكات معارضيه الذين لم يحترموا قواعد اللعبة يمكن تفسيره بالمصاعب الاقتصادية الكبيرة التي تواجه مصر الان (...) وبعد ان ضعفت آمال التوصل الى (حل سلمي) برزت هذه الصعوبات من جديد ، ومن جهة اخرى تعود شعبية المعارضة الناصرية واليسارية الى ادانتها لسياسة الانفتاح .. التي فاقمت في اوضاع الغالبية وسمحت لاقلية مقربة من السلطات ان تجمع ثروات كبيرة .. كما ادت الى زيادة التضخم بنسبة ٢٥ بالمئة .. وباجراءاته الجديدة يمكن ان يؤجل السادات وقوع بعض المتاعب الداخلية ، لكن المشكوك فيه ان ينجح في تفادي انفجار شعبي جديد !

هذا ما كتبته الصحيفة الفرنسية المعتدلة في اول حزيران ، وقبل ان تكمل المعارضة البرجوازية داخل مصر دائرة حصار الاجراءات الفاشية :

● فقد رفض الوفد ان يفقد دوره المنتظر في الاستيلاء على السلطة ، وركل تحالفه القديم مع النظام الحاكم باعلان حل نفسه ورفض قرار قياداته .. ولعبها سراج الدين بذكاء لا يقارن به ذكاء السادات ليتحول هو وحزبه اليميني الى شهداء بعض الوقت من اجل المستقبل ..

● اما « التجمع الديمقراطي الوحدوي » فقد ساعدت اجراءات السادات القمعية في بلورة الخطين السائدين داخله واستقطاب كوادره وقواعده حول الخط الاكثر جذرية والرافض لاي تحالفات غير مبدئية مع قوى الثورة المضادة من وفد واخوان ، والرافض في الوقت نفسه لاستمرار كيسار شرعي بلا مضمون .. لقد اثبتت الاحداث صحة موقف هذا التيار الذي يرى المواجهة الوحيدة والصحيحة هي العمل الوطني الجذري .. واذا كان هذا التيار لم يفرض ارادته كاملة في حل الحزب والصدام المباشر وتأجل القرار ليوم الاحد القادم لتتخذ الجمعية العمومية قرارها .. الا ان قرار وقف صحيفة الاهالي ، وتجميد النشاط العلني وفضح « اليسار » الاكثر يمينية وانتهازية والذي كان مرشحا لقيادة التجمع من امثال عبد الرحمن الشرقاوي وصلاح حافظ وعبد الستار الطويلة و د. عبد العظيم رمضان وغيرهم ، الذين يرون مع بعض قيادات التجمع الحالية ان « مجرد الوجود» هو غاية المراد من رب العائلة المصرية !

● اما محمد حسنين هيكل فقد استثمر بمساعدة الصحافة العربية والعربية الموقف خير استثمار ، وبدلا من اعلان الخوف والذعر الذي اعلنه احد مرؤسيه السابقين (الجمال) راح يتحدث عن النظام الساداتي واجراءاته كما يتحدث رجل ابيض عن شيخ عشيرة افريقية لا يعرف المصالح الحقيقية لعشيرته ، ويعرفها الرجل الابيض بأفضل منه مئات المرات .. وفي حديثه للنيويورك تايمز عدد اول حزيران قال هيكل : « ان قرار السادات بضرب خصومه السياسيين خاطيء تماما .. ان الاحزاب السياسية هي تعبير عن المصالح السياسية والاجتماعية .. ونحن سندفع العملية باسرها الى الخفاء لكي تنفجر هنا او هناك .. لماذا ؟ .. لماذا ؟! » .

الا يشبه هذا الاستفهام الاستنكاري من هيكل ما يقوله الاباء لصبيانهم عندما يأتون امرا يضرهم باكثر مما يضر اعداءهم ؟!

وتضيف الصحيفة الامريكية التي قدمت هيكل كواحد من اهم الكتاب والسياسيين العرب من وجهة نظر الغرب ، تضيف متنبأة على لسان اصدقائه - الذين لم تذكرهم - بان نتيجة التحقيق معه ستؤدي في احسن الاحوال الى طرده من نقابة الصحفيين ! ولم تنس الصحيفة الامريكية ان تورد رد هيكل على التهمة :

- « ان القول انني قلت اي كلمة سيئة في حق مصر هو مجرد سخافة ! » .

لقد عمت الاستنكارات والادانات لقوانين السادات الفاشية الاخيرة معظم الاوساط التي كان ينبغي ان يبدو امامها قادرا على السيطرة على زمام الامور ، وحتى اصدقاءه « الاسرائيليين » رأي اتحاد صحفييهم ان الحقوق الديمقراطية شرط من شروط الحوار من اجل « السلام » !

لقد ادرك السادات وأعمدة نظامه ان اللعبة تقتضي مجهودا اخر ، تقتضي مواجهة القطاعات التي تبعث الرعب في اوصالهم والتي اتخذ الصحفيين والكتاب كوسيلة لصرف نظر الرأي العام عما يجري في داخل هذه القطاعات من قلاقل واضطرابات لا ينفع معها استفتاء ولا قانون .

ولعل جولاته واحاديثه وتأكيداته امام القيادات النقابية والشعبية والقوات المسلحة تشير بحسم الى مكمن الخطر الذي تنبأت له الصحيفة الفرنسية ، ان المطالب الاساسية للقوات المسلحة في غالبيتها وللطبقة العاملة والجماهير المسحوقة لا يمكن حلها الا بتغيير اساسي في البناء الاقتصادي والاجتماعي ، وهو تغيير لا يقدر على انجازه غير تنظيمات هذه الجماهير الثورية التي يدفعها الظرف الموضوعي وسقوط الاوهام « الديمقراطية » ان تأخذ زمام المبادرة النضالية لازاحة هذا النظام عن مواقع التحكم في مقدرات الشعب العربي في مصر كما يقول بيان الصحفيين التقدميين المصريين الذي ارسلوه الى المدعي العام الاشتراكي في مصر مفندين فيه ما وجهه اليهم النظام العميل من تهم .. والذي ننشره في مكان اخر من هذا العدد ..

ناجي علوش

الحريات الديمقراطية هي اساس كرامة الانسان العربي

على كل بوابة جنرال بالحديد والنار
يمنع دخول الشعراء ويشنق الاشعار
وفي كل ارض قتيل وفي كل مدينة كان صحبي
يا اما راقد في حفرة ، يا اما في المنفى
او في السجن يستنى فراش النار .

تحت شعار « معركة الديموقراطية في مصر ، معركة الديموقراطية في الوطن العربي » كان المهرجان الحاشد الذي اقامته الامانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين مساء الجمعة الواقع في ٤-٦-١٩٧٨ في جامعة بيروت العربية تضامنا مع المناضلين في مصر والوطن العربي واستنكارا لاجراءات السادات القمعية التي يمارسها على الكتاب والصحفيين والمناضلين في مصر .

بدأ الحفل بكلمة عضو المجلس السياسي المركزي للاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية الرفيق طارق شهاب الذي القى كلمة الحركة الوطنية اللبنانية ، حيث قال :

« لقد خشي السادات من التحرك الشعبي ضده في مصر فجاء اليوم يتخذ تدابير جديدة تحت ستار القوانين لالغاء الديموقراطيات والحرية النسبية في مصر » ...

ثم انهى حديثه واصفا تعطيل الحريات في مصر « بانه حلقة من حلقات المخطط الرامي الى الاستسلام للعدو الاسرائيلي بصورة نهائية وتمرير الحلول الملائمة لمصلحة هذا العدو ... ومعلنا وقوف الحركة الوطنية اللبنانية الى جانب الشعب المصري واستنكارها لكبت الحريات » ...

عروبة مصر

ثم القى محمد تيمور كلمة الحركة الديمقراطية في مصر ، فبدأ حديثه قائلا : القلم العربي المصري ... يتحدى كل اطر العمالة والخيانة ويترجم الافكار الديموقراطية والثورية ..

وقد اكد الرفيق تيمور في كلمته على عروبة مصر وعروبة اقلام الحركة الوطنية المصرية مؤكدا ان اقلام هذه الحركة ستستمر وتستمر معها « مصر العروبة » وقال ان مصادرة حريات الكتاب والصحافيين هي من اجل تغطية ازمات النظام الحقيقية ، وهاجم كتاب وصحافيي النظام المصري بالاسماء ...

وقد ناشد الرفيق تيمور في ختام كلمته القوى الوطنية والتقدمية العربية رص الصفوف والعمل بيد واحدة وتعميق التحالف مع البلدان الاشتراكية.

اما الاستاذ احمد سويد فقد القى كلمة اتحاد الكتاب اللبنانيين ، وصف فيها السادات بالبهلوان وببطل الانقضاض على منجزات عبد الناصر وبأنه قاتل جميع من في الساحة العربية ولم يبق امامه من ينازله سوى الكلمة وهذه معركته مع الكلمة ... الكلمة الحقيقية والشريفة ...

وبعد ان القى الشاعر « معين بسيسو » قصيدة بعنوان « نفرتيتي » ، قال الرفيق عبد الفتاح غانم باسم جبهة التحرير الفلسطينية : « نحن في هذا المهرجان نسدد بعض الدين علينا لمصر ».

ثم اردف قائلا : « لا يمكن ابدا الا ان نقف كمقاومة وثورة فلسطينية مع القلم المصري الذي يريد السادات ان يكسره ، ويكمم الافواه التي كانت على امتداد التاريخ تصدر الكلمات الشريفة .. فمن باب الوفاء لشعب مصر على ثورتنا الفلسطينية ان نقف في هذا اليوم لنرفع الصوت صوتا عاليا مدويا في وجه الذين يريدون ان يزيفوا الكلمة في مصر ووجه شعبنا في مصر ...

جبهة متراصة

واختتم هذا المهرجان بكلمة الامين العام لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين ناجي علوش الذي ابتدأ كلمته قائلا : « عندما قرر اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين ان يقوم بهذا التحرك تعبيرا عن استنكاره لما يجري في مصر فانما فعل ذلك لانه يدرك ادراكا كاملا ما يجري .. ان ما يحدث في مصر ليس اعتداء فقط على حرية بعض الكتاب والصحافيين ، وليس اعتداء على الحريات الديموقراطية ، بل هو سياسة كاملة تستهدف الوطن العربي كله وحركة تحرره وتقدمه».

ثم شرح الرفيق علوش ابعاد المؤامرة التي تجري في مصر والتي هي جزء مما يجري في الارض العربية كلها ، فالقمع ليس في مصر فقط فهو يمد ظلاله على الوطن العربي كله .. وما يجري في مصر يتعلق بالقضية القومية كلها وما يفعله السادات لا يستهدف ضرب الحريات انما الثورة في مصر وخارج مصر ...

ثم تطرق الرفيق علوش في حديثه الى ناحية مهمة في الوطن العربي وهي قضية الارهاب الفكري ومصادرة الحريات فقال : « ونحن ننظر الى ما يجري في مصر لا يجوز لنا ان ننسى ان هناك قضية كبيرة في هذا الوطن لم تولها الحركات الثورية الاهتمام الكافي وهي : الارهاب ومصادرة الحريات ومنع الصحف ومنع الاحزاب ... » .

ثم ناشد الرفيق علوش الاحزاب والوطنيين والمناضلين ان يرفعوا صوتهم عاليا ضد الارهاب في كل مكان معللا ذلك بقوله : « انها قضية الشعب كله وان لم نقف مع الحريات ، ان لم نؤمن لجماهيرنا هذه الحريات فلن يكون في هذا الوطن العربي كرامة لاي انسان ... نحن مع الحريات نقولها ونحددها ونؤكدها ، نحن مع حرية الرأي مع حرية الاجتماع مع انشاء الاحزاب والصحف دون قيود » ...

وربط الرفيق علوش بين ما يجري في مصر وبين القضية الفلسطينية وما يجري في لبنان لسحب السلاح من الجماهير الفلسطينية والذي لا يستهدف الثورة الفلسطينية فقط ، انما وحدة لبنان وعروبته وقال : « ان ما يجري في هذه الايام هو محاولة لضرب الثورة نهائيا واخراجها من لبنان وتوزيع الجماهير الفلسطينية في انحاء الوطن العربي » ...

بعدها دعا الى خلق جبهة قومية متراصة ، تقاتل من اجل قضايا الشعب العربي اينما وجد وقال : سنناضل لفك الحصار على الكتاب والصحافيين المصريين لان انجازاتهم كانت لكل الشعب العربي ولكل الوطنيين والديموقراطيين العرب .

وختم الرفيق علوش كلمته بالتشديد على عدة مطالب اهمها على الصعيد الفلسطيني :

● اتخاذ موقف فلسطيني واحد باستمرار القتال وتكوين جبهة حقيقية ...

اما على صعيد الوطن العربي :

● لا بد من جبهة قومية عربية تضم كل القوى الوطنية والتقدمية حتى نستطيع مواجهة الهجمة الامبريالية الشرسة ..

وهذه الجبهة يجب ان تقوم على برنامج يتضمن مواجهة العدو الصهيوني واميركا والرجعية العربية والشرط الاساسي ان تكون العلاقات الجبهوية علاقات رفاقية ومعاملة كل طرف كند حتى لا نقع في المهاترات ...